ثقافة المقاومة ضرورة فكراً وفعلاً

أ.د. أسعد السحمراني*

ملخص:

يشهد العالم في هذه السنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين للميلاد تطلعاً إمبراطوريا، ونزعة تسلطية استعلائية استكبارية، تقوم على مزاعم الأمة الممتازة عند قادة الولايات المتحدة الأمريكية، ومزاعم الشعب المختار عند الصهيونية اليهودية، وبذلك نشأ مشروع استعماري احتلالي وإحلالي استيطاني صهيوأمريكي يكتوي العالم كلّه بنار أطماعه، وبشكل خاص العالم الإسلامي والأمة العربية.

هذه المشروعات الاستعمارية التي تتخذ مسمّيات عديدة من الحق في أرض فلسطين الذي يدعيه يهود، والصهاينة منهم بشكل خاص، إلى شعارات العولمة والنظام العالمي الجديد والشرق أوسطية والأورومتوسطية وغير ذلك، تمثّل خطراً داهماً يهدد الأمة العربية والعالم الإسلامي ديناً ومقدساتٍ وشعباً وأرضاً وحقوقاً وقيماً واقتصاداً وفنوناً... الخ، إن هذه الهجمة التي أدّت إلى اغتصاب الأرض وتدنيس المقدسات وقتل أو تشريد أو أسر الشعب، وإلى نهب الثروات، واستباحة كل الحرمات لا يكون ردّها بالأماني، ولا بالتوسّل والاستجداء، بل بالإعداد والاستعداد والمواجهة والتضحيات.

الكلمات المفتاحية: ثقافة المقاومة، ضرورة فكراً، ضرورة فعلاً.

---

* . مسؤول الشؤون الدينية في المؤتمر الشعبي اللبناني، أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي ـ بيروت

الثقافة والمقاومة:

إن ضبط المصطلح وبيان الدلالة منه أمران أساسيان في المسار الفكري الذي يؤسّس للفعل والتنفيذ.

والثقافة تحتاج الوقوف على حقيقتها قبل أن تنسب إلى مسار ليستخدمها الإنسان من أجل مقاصده.

إن الثقافة هي الهوية، وهي خصائص الشخصية المجتمعية للأمة ومن ضمنها الأفراد، ولا يكون مجتمع أمة بلا ثقافة تخصّه، ولا يستطيع إنسان أن يحيا في محيطه وهو مجرّد من الثقافة، قال مالك بن نبي: «الثقافة هي التعبير الحسّي عن علاقة الفرد بهذا العالم؛ أي بالمجال الروحي noosphère الذي ينمّي فيه وجوده النفسي، فهي نتيجة هذا الاتصال بذلك المناخ. فالفرد إذا فقد صلته بالمجال الحيوي قررنا أنه مات موتاً ماديّاً، وكذلك الأمر إذا فقد صلته بالمجال الثقافي فإنه يموت موتاً ثقافياً، فالثقافة إذن ـ إذا ما رددنا الأمور إلى مستوى اجتماعي ـ هي حياة المجتمع التي بدونها يصبح المجتمع ميتاً».[١]

العلاقة بين الفرد وانتمائه الاجتماعي تسيّره الثقافة، وتعامل الفرد ومجتمعه مع المحيط كله بيئة وثروة ومعالم وإنساناً تسيّره الثقافة التي يلتزمها.

وما ذلك إلا لأن «الثقافة أمر ينطلق من ذات الإنسان، ويحمل معنى التقويم والتنقية رقيّاً بهذه الذات باتجاه معاني الخير والحق والعدل والجمال وسائر القيم، والثقافة في جوهرها عملية إطلاق للطاقات باتجاه توليد وعيّ جمعي يشكل الهوّية التي تقود وتطبع الحضارة بطابعها، وهي عندنا العقيدة والنظرة إلى الكون، ومجمل المبادئ والأسس والقيم التي نؤمن بها ونلتزمها ونعمل على تطبيقها وهي كل ما يميّز شخصية الأمة من لغة وفكر وفنون وعلوم وتقاليد وأعراف».[٢]

الثقافة: هي هوية الأمة ولها صفة الثبات والخصوصية، ومن مهام الثقافة أن تصوغ نظم التربية وسائر أنواع الخطاب على قاعدة: "التحدي والاستجابة" فهذه القاعدة هي الركيزة الأساسية لحركة الحضارة في أية أمة، وإذا كانت الأمة العربية والإسلامية ـ كما هو معلوم ـ تتعرض لتحديات متنوعة استعمارية تتمظهر في الميادين كافة فإن قاعدة: "التحدي والإستجابة" تقتضي التربية والإعداد لكل فئات المجتمع وشرائحه على ثقافة المقاومة من أجل رد التحديات، وتحرير الأرض والمقدسات، ووقف كل أشكال التطاول والاستكبار صهيو ـ أمريكي.

إن المقاومة عمل مشروع تقتضيه الفطرة البشرية التي تقوم على حبّ الحفاظ على الحياة واستمرارية النوع، كما أن مسار العلاقات بين الأمم والشعوب قام على اعتماد المقاومة سبيلاً لردع الاعتداءات.

المقاومة في المعاجم العربية هي: «مواجهة القوة ومجابهتها بالقوة والصمود في وجه المهاجم، والاعتراض على ما ينافي العدل، وينافي الرغبات، وقوة الاحتمال والصبر على الشيء، ومنه مقاومة العنف».[٣]

المقاومة المسلحة: «لجوء جماعة من المواطنين المسلحين إلى محاربة العدو أو المحتل بوسائل متنوعة، كشنّ الهجمات المتفرقة أو إحداث تخريب في قواعده ومنشآته من ساكنيها».[٤]

وغير بعيد عن هذا المفهوم ما ورد في المعاجم الأوروبية لجهة تعريف المقاومة خاصة تلك التي كانت في مواجهة اجتياح هتلر لأقسام من أوروبا حيث جاء في معجم فرنسي تحت مصطلح Résistance (مقاومة) ما يلي: «اسم أطلق على النشاط السّرّي الذي جرى في فرنسا وسائر أوروبا من قبل مختلف المنظمات والحركات من أجل الكفاح ضدّ الاحتلال الألماني منذ الحرب العالمية الثانية حتى تحرير الأرض، وفي فرنسا بالإضافة إلى ذلك كانت المواجهة مع النازية من خلال العمل وفق برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي يحدّد مستقبل البلاد، وقد قمعت النازية بعنف المقاومة، وحسب مصادر موثوقة فإنه تمّ أسر ١١٥٠٠٠ مقاوم، وقد توفي ٧٥٠٠٠ منهم في معسكرات الاعتقال تحت التعذيب».[٥]

إن تعريف المقاومة السابق ذكره يقودنا إلى التأكيد على أن قرار المقاومة، وإرادة المقاومة ضرورتان في حياة الفرد والأمة، لأن الإنسان بفطرته وطبعه يميل إلى حب الحياة، وهذا ما يدفعه إلى الإجتماع فالتعاون والتحالف والتناصر مع الآخرين لتحقيق هذا الميل.

إن ثقافة المقاومة ليست استثناءً، ولا هي أمر خاص بأمة أو ظرف أو مرحلة، وإنما تشكّل ثقافة المقاومة حاجة ضرورية لذلك كانت امتلاك أدوات الدفاع وإتقان أساليبه في رأس قائمة اهتمامات الإنسان أيّاً كان موقعه أو الحال الذي هو عليه.

والثقافة المطلوبة لنشر فكر المقاومة ليست تلك التي تعتمد القوة بشكل غاشم وغير مشروع، وإنما تلك التي تردع العدوان، وتنشر العدل، وتمنع الظلم.

المقاومة شرعية ومحقّة:

إن مراجعة تواريخ الأمم والشعوب تبيّن بشكل جلي أن مقاومة العدوان ضرورة رافقت الإنسان في كلّ المراحل والمواقع من ذلك مقاومة الحيوانات المفترسة والمؤذية، ومقاومة التقلبات الطبيعة (زلازل ـ براكين ـ سيول..... الخ)، وقد تنوعت وسائل الدفاع عن الحياة وأساليبه من الغذاء إلى الملبس والمسكن إلى الاستطباب فالزواج وتكوين الأسرة والتكاثر وصولاً إلى الدفاع عن الأوطان والحقوق.

وضوابط قبول الآخر أو مقاومة ظلمه وعدوانه وردا في آيتين كريمتين جاء فيهما قول الله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبّ المقسطين. إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولّوهم ومن يتولّهم فأولئك هم الظالمون﴾ [سورة الممتحنة، الآيتان ٨ و ٩].

إن المؤمن مأمور بمقاومة كلّ من اعتدى على دينه، أو على أرضه وممتلكاته وسائر حقوقه، ويستوي مع هذين الصنفين من ساعد المعتدي في إخراج الناس من أوطانهم، أو اغتصاب أرضهم ومالهم وسائر ما يخصّهم، وكذلك لا يصحّ السكوت عن المعتدين أو موالاتهم، أو التحالف معهم ومن فعل ذلك كان ظالماً، وقد أصدر المجمع الفقهي الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي في دورتها السادسة عشرة التي عقدها في شهر شوال من العالم ١٤٢٣هـ بيان مكة المكرمة، وقد جاء فيه انطلاقاً من الآيتين السابقتين تعريف للجهاد هو:

إن الجهاد في الإسلام شرع نصرة للحقّ، ودفعاً للظلم، وإقراراً للعدل والسلام والأمن، وتمكيناً للرحمة التي أُرسل محمد ﷺ بها للعالمين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، مما يقضي على الإرهاب بكلّ صوره.

فالجهاد شُرِّع لذلك وللدفاع عن الوطن ضدّ احتلال الأرض ونهب الثروات، وضدّ الاستعمار الاستيطاني الذي يخرج الناس من ديارهم، وضدّ الذين يظاهرون ويساعدون على الإخراج من الديار، وضدّ الذين ينقضون عهودهم، ولدفع فتنة المسلمين في دينهم، أو سلب حرّيتهم في الدعوة السلمية إلى الإسلام... ولا يمكن التسوية بين إرهاب الطغاة وعنفهم الذين يغتصبون الأوطان، ويهدرون الكرامات، ويدنسون المقدسات، وينهبون الثروات، وبين حقّ الدفاع المشروع الذي يجاهد به المستضعفون لاستخلاص حقوقهم المشروعة في

تقرير المصير،[٦] ويكمل البيان مطالباً دول العالم، والمؤسسات الدولية بأن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار، وأن توقف إرهاب الدولة الذي يمارسه العدو الإسرائيلي في فلسطين المحتلّة، وما يماثله من أشكال الاستعمار والعدوان لأنه لا استقرار عالمياً، ولا علاقات سوية بين الشعوب ما دام هناك مثل هذا العدوان والاغتصاب للأرض والاحتلال والظلم والعدوان والقتل والتشريد والنهب والسلب.

ولم يكن موقف مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر الشريف مختلفاً عن موقف الرابطة، وقد صدر عن المجمع في جلسته المنعقدة بالقاهرة في ١٥ شعبان من عام ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/١١/١ بيان جاء فيه:

"والجهاد الإسلامي هو بذل الجهد ونصرة للحق ودفعاً للظلم، وإقرار للعدل وفي حالتين اثنتين:

١. الدفاع عن الوطن ضد احتلال الأرض ونهب الثروات، وضد الاستعمار الاستيطاني الذي يُخرج المسلمين من ديارهم، وضد الذين يظاهرون ويساعدون على الإخراج من الديار، وضد الذين ينقضون عهودهم.

٢. دفع فتنة المسلمين في دينهم، وإجبارهم على تغيير عقيدتهم، أو سلب حريتهم في الدعوة السلمية إلى الإسلام. وقد استشهدت لهذا الموقف بالآيتين السابقتين الذكر من سورة الممتحنة.

إن هذا الحق في مقاومة كل أشكال الاحتلال والعدوان أكده كذلك الحديث النبوي الشريف، ومن ذلك الحديث: «من قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد».[٧]

إن الإنسان في الأمة العربية والإسلامية يسلب الاستعمار والمحتلون الغاصبون ما له، ويعتدون على مقدساته وأبرز ذلك ما يحصل من عبث بالقدس من قبل العدو الإسرائيلي المحتل وغير ذلك كثير وفي ميادين عديدة إعلامية، وأما الدماء فمستباحة من فلسطين إلى لبنان إلى العراق وسواهم من المواقع، والحال نفسه باعتداء الأعداء على القوم والأهل بمختلف أشكال العدوان على الفكر والاقتصاد والفن والكرامة، وبعد كل ذلك ألا يكون الواجب أن يطلب المؤمن الشهادة دفاعاً عن كل هذه الخصوصيات المعتدى عليها؟ ودرب الشهادة يحتاج أن يسبقه الإعداد، ولا إعداد أو استعداد إلا حال توافر ثقافة المقاومة التي ترغّب بالشهادة بدل أن يرتضي أي إنسان الخضوع والخنوع والتسليم بالأمر الواقع.

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ وصحبه وسلم: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم».[٨]

والقتال في الإسلام ليس مطلباً وإنما هو حاجة يفرضها الواقع حين يحصل عدوان أو احتلال، وقول الله تعالى: ﴿كُتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم﴾ [سورة البقرة، الآية ٢١٦].

ولكن ذلك لا يجوز أن يكون مبرراً لبعض نهّازي الفرص ليركنوا إلى الذّل، وليفروا من المجابهة والمواجهة، والجهاد والمقاومة أصل وأساس، ولا تستقيم الحياة إلا بهما، وقد رغّب الإمام علي كرم الله تعالى وجهه بذلك، قائلاً: «إن الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجُنّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذّل وشمله البلاء»،[٩] هذه الشرعية الإسلامية للمقاومة لم تخالفها المواثيق الدولية، لا بل أقرّ ميثاق هيئة الأمم المتحدة بحق كل شعب يُعتدى عليه بأن يعمد إلى استخدام كل ما تيسر له من أشكال القوة لردع العدوان ولتحرير أرضه، واسترداد حقوقه، ففي المادة(٥١) من ميثاق الأمم المتحدة جاء النص التالي: «ليس في هذا الميثاق ما يضعف أو ينقص الحق الطبيعي للدول، فردى أو جماعات، في الدفاع عن أنفسهم إذا اعتدت قوة مسلحة على أحد أعضاء الأمم المتحدة وذلك إلى أن يتخذ مجلس الأمن التدابير اللازمة لحفظ السلم والامن الدولي، والتدابير التي اتخذها الاعضاء استعمالاً لحقّ الدفاع عن النفس تبلغ إلى المجلس فوراً، ولا تؤثر تلك التدابير بأي حال فيما للمجلس، بمقتضى سلطته ومسؤولياته المستمرة من احكام هذا الميثاق».[١٠]

إن هذا النص يؤكد حق أية أمة معتدى عليها باستخدام القوة والمقاومة لردع المعتدي والمحتل، وأن هذا الحق طبيعي لا يحتاج لتشريعات أو قوانين.

وقد توالت التوصيات الصادرة عن الهيئة العامة للأمم المتحدة مؤكدة على هذا الحق في المقاومة، وصدّ أي عدوان. من ذلك قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي يحمل الرقم (٢٦٢١)، وذلك في الدورة الخامسة والعشرين بتاريخ ١٢/١٠/١٩٧٠ ونص القرار هو:

«أ. إن استمرار الاستعمار بأي شكل من أشكاله أو مظاهره هو جريمة تشكّل خرقاً لميثاق الأمم المتحدة، وإعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة، ولمبادئ القانون الدولي.

ب. إن للشعوب المستعمرة حقّها الأصيل في الكفاح بجميع الوسائل الضرورية التي في متناولها ضدّ الدول الاستعمارية التي تقمع تطلعاتها إلى الحرية والاستقلال.

ج. إن على الدول الأعضاء أن تقدم إلى شعوب الأقاليم المستعمرة كل مساعدة معنوية ومادّية تحتاج إليها في كفاحها لنيل الاستقلال».

إن هذا القرار يدين الولايات المتحدة الأميركية وحلفاءها الذين أطلقوا حركة استعمارية تحتل أرض الآخرين، وتنهب ثرواتهم، وتقتل أو تشرد إنسانهم، والأنموذج ما جرى ويجري في العراق وأفغانستان، والإدانة الأكبر تأتي من شراكتهم الكاملة مع العدو الإسرائيلي ومشروعه الاستعماري الاستيطاني والاحتلالي، وكل ما يقوم به من جرائم في فلسطين المحتلة، وكان واجبهم حسب القرار السابق الذكر أن يمدوا المظلوم بالمساعدات والدعم بدل أن يعينوا ويدعموا المحتل الغاصب.

وهناك قرار رقمه (٣٣٨٢) صدر عن الدورة الثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ ١٠/١١/١٩٧٥، وفي نصّ القرار: «تؤكّد الجمعية شرعية كفاح الشعوب في سبيل الاستقلال، والسلام الإقليمي، والتحرّر من السيطرة الاستعمارية بجميع الوسائل بما فيها الكفاح المسلّح».

وأظنّ هذه النصوص وغيرها كافية لتأكيد شرعية المقاومة وضرورتها، وأن الكفاح المسلّح وسائر أنواع الكفاح هي سبيل وحيد للتحرير واسترداد الحقوق المسلوبة، واتهامات الأمريكي وحلفائه لمقاومتنا بأنها إرهاب مردود عليهم، لأنهم يمارسون إرهاب الدولة مع شركائهم كافة، أما مقاوماتنا الوطنية والإسلامية، وكل ما نقوم به من ممانعة ومجابهة إنما هو حق طبيعي أكدته كل الشرائع والمواثيق، ولا خيار أمام الشرفاء سوى المقاومة فكراً وفعلاً.

صناعة أمة مقاومة:

إن الوصول إلى النصر والتحرير يحتاج إلى شعب مشبّع فكره بثقافة المقاومة، وفكر المقاومة، وهذا يحتاج لأسس تحتاجها هذه الصناعة منها:

١. نشر التدين وتعميق قيم الدين في الإنسان فرداً ومجتمعاً وفق قاعدة: "الإيمان بلا تعصّب"، لأن الإيمان مع الرشاد والحكمة تربوياً ينتجان جيلاً جاهزاً للتضحية والفداء من أجل الإنسان والمقدسات والأوطان دونما حساب للخسائر المادية، ولا تردّد في الإقدام حتّى لو كلّف ذلك الحياة. فالروح الجهادية تحتاج صناعتها للعامل الإيماني ـ الديني عاملاً حاسماً.

٢. نشر المنهج الوحدوي الذي تنفسح ساحاته للتنوّع تحت سقف الوحدة بنوعيها:

الوحدة الدينية وإن تنوّع الفقه أو تنوعت المذاهب، والوحدة الوطنية والقومية وإن تنوعت المعتقدات والانتماءات الدينية أو العرقية أو القبلية أو سواها، فالوحدة ركن أساسي في العمل المقاوم لأن الجبهة الداخلية المتماسكة والمعززة تشكّل دعماً حاسماً وأساسياً للمقاومة الرسمية أو الأهلية لهذا نجد العدو الصهيوأمريكي وحلفاءه يعملون لضرب الوحدة، وزرع الفتنة والفرقة، والعمل لتفتيت الأمة إلى كيانات طائفية وعرقية ليتمكنوا من السيطرة عليها، وهذا ما يسمونه: الشرق الأوسط الجديد. والأمر الطبيعي أن يعمل جميع الغيارى لوأد الفتن بأي رداء استترت.

٣. التحريض والتعبئة ورفع الروح المعنوية على أساس الآية الكريمة: ﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال﴾ [سورة الأنفال، الآية٦٥]، فمثل ذلك يولّد إرادة المقاومة والمعلوم أن المقاومة إرادة وليست خاضعة لموازين القوى. إن المؤسسات الإعدادية والتربوية، ومعها الإعلام وكل مؤسسات المجتمع الأهلي تحتاج إلى مناهج وبرامج مشحونة بالروح المعنوية العالية، وبالاندفاع إلى ساحات المواجهة ليس على أساس موازين القوى، وإنما طلباً لهدف هو صناعة الرعب للعدو كي تنهار معنوياته، ويستسلم فيفرّ وهو يجرّ أذيال الخيبة، وقد قال الله تعالى: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كلّ بنان﴾ [سورة الأنفال، الآية١٢].

هذا التوجيه لا يتناسب معه أي هوان أو ضعف، أو كلام ينشر ثقافة اليأس وتضخيم قدرات الأعداء بدل أن يبرز مواقع القوة في الأمة، ويرفع من المعنويات، ويقوي العزائم.

٤. إن مقاومة الاستعمار بكل أشكاله يحتاج ثقافة تنزع من صدر كلّ فرد في الأمة القابلية للاستعمار لأن القابلية للاستعمار على مستوى كيان الفرد الداخلي الفكري والنفسي أخطر على الأمة وعلى حركة المقاومة من الاستعمار نفسه.

لقد نبه إلى خطر القابلية للاستعمار المصلح الجزائري مالك بن نبي (ت ١٩٧٣) ومما قاله: «لكي نتحرّر من أثر الاستعمار، يجب أن نتحرّر أولاً من سببه وهو القابلية للاستعمار، فكون المسلم غير حائز جميع الوسائل التي يريدها لتنمية شخصيته، وتحقيق مواهبه: ذلك هو الاستعمار. وأما ألاّ يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل استخداماً مؤثراً، وفي بذل أقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته، حتّى بالوسائل العارضة، وأما ألا يستخدم وقته في هذه

السبيل، فيستسلم لحظة إفقاره وتحويله كماً مهملاً يكفل نجاح الفنية الاستعمارية فتلك هي القابلية للاستعمار».[١١]

إن نزع القابلية للاستعمار من النفوس يحصّن الفرد من قبول الاستتباع أو التبعية للأجنبي ومخططاته، أو قبول الوافد المسموم من عنده، وهذه تربية يحتاجها الجميع، وهي مقدمة أساسية لصناعة الشخصية المقاومة للاستعمار.

٥. الإعداد والاستعداد في ميدان الفكر والسياسة والاقتصاد والقوة العسكرية. إن مجتمع الإسلام الأول الذي صاغه رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآله وصحبه بعد الهجرة في المدينة المنورة يشكّل النموذج الواجب اعتماده من قبل كل مسلم وكل مجتمع من مكونات الأمة العربية والإسلامية.

بعد الوصول إلى المدينة المنورة كان الفعل الأول بناء المسجد الجامع المعروف بالمسجد النبوي بعد اختيار موقعه، والمسجد يربط الإنسان المؤمن مع الله تعالى ومع دينه، وهو موقع العمل القيادي والتعليمي والتربوي.

والفعل الثاني كان شراء بئر رومة وهذا أمر اقتصادي حيث لا يخفى دور الماء في مناطق في قلب الصحراء، ومن ثمّ كان الاهتمام بالإعداد العسكري ومنه الأمور التالية:

أ. اعتماد القاعدة التي تقضي بأن كل بالغ من الرجال مقاتل والجهاد عليه واجب.

ب. استقدام السيوف والأسلحة من مصادرها هذا مع إرسال إثنين من الصحابة هما: عرو بن مسعود وغيلان بن سلمة إلى جرش(في الأردن) ليتقنوا فن تصنيع أسلحة العصر من منجنيق ودبابات حيث كانت جرش تحت الحكم الروماني البيزنطي وكانت معتمدة مكاناً لمثل هذه الصناعات العسكرية.

ج. التشجيع على اقتناء الخيول لما لها من دور في ميدان المعارك.

أما على الصعيد المجتمعي فقد كان بناء المجتمع باتجاهين:

أ. التآخي بين من دخلوا في الإسلام، وهم المهاجرون والأنصار، حيث أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلّم وآله وصحبه قائلاً: «تآخوا في الله أخوين أخوين».[١٢]

ب. بناء العلاقات مع غير المسلمين بناء لميثاق وطني يضبط أسس قبول الآخر ويحدّدها، وكان ذلك من خلال النص التعاقدي المعروف باسم: "الصحيفة".

هذا البناء هو الذي أهّل السابقين الأولين لمواجهة الظلم، ومقاومة الإمبراطوريات المعاصرة هذا مع نشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وترافق مع ذلك قيام مجتمع لا ظلم فيه ولا جوع أو تشريد وساد العدل والخير والحقّ والكفاية.

٦. إن مقررات المواد التعليمية في الوطن العربي وفي العالم الإسلامي تحتاج لتعديل خاصة مواد العلوم الإنسانية بدءاً من مادة التربية الدينية إلى الأدب والاجتماع والاقتصاد والجغرافيا والفلسفة والحضارات وسواها بحيث يلحظ واضعو المناهج ومؤلفو المقررات أمر التربية على المقاومة.

واجب العملية التعليمية أن تؤمّن للأجيال المفاهيم والأفكار لتكوين شخصية مقاومة عمادها السماحة من جهة والعزّة من جهة أخرى، تلك الشخصية التي تتربى على الفدائية والتضحية، ومن مفاهيمها الجوهرية: «الجهاد حتّى نيل إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة»، «لا يقدر على دفع ضريبة الدم غير الذين يقدرون شرف الحياة».

وإذا كان أعداؤنا قد أدخلوا في برامجهم التعليمية كل مزاعمهم ودعاويهم الباطلة، فالأولى أن تذخر برامجنا بأبواب التعرّف على حقوقنا وكيفية الحفاظ عليها واسترجاع المسلوب منها.

٧. إن علم الإستراتيجية يوجه إلى قواعد أساسية في ميدان المواجهة منها: قاعدة: اعرف عدوك، وقاعدة: حشد القوى.

وتطبيقاً لهاتين القاعدتين يحتاج مشروع التربية على المقاومة إلى فكر ووسائل نشر من منابر وملتقيات وإعلام إلى علم واسع بحقيقة الإعداء ومشاريعهم الاستعمارية الاحتلالية والاستيطانية الاحتلالية أو مشاريع الغزو الفكري والاقتصادي كي يجعل الأجيال على دراية بمن يقاومونه.

أما حشد القوى فيستلزم حرصاً على الوحدة، وبالتالي مواجهة كل دعوة للفرقة والانقسام هذا مع التوظيف السليم للطاقات والقدرات، وعدم هدرها في معارك وهمية بحيث نصل إلى المواجهة الحقيقية منهكين.

٨. لقد أعدت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ آيسيسكو ـ مجموعة وثائق نشرت تحت اسم: إستراتيجية وعالجت موضوع التقريب بين المذاهب الإسلامية، وموضوع إدماج القيم الإسلامية في المناهج الدراسية، وموضوع أدب الاختلاف والحوار، وكانت واحد تحت عنوان: الإستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي، ومضامين وتوجيهات هذه الإستراتيجيات بقيت في

معظمها حبيسة الوثائق المطبوعة، ولم تتلقفها الحكومات ولا المؤسسات الأهلية لتصوغ على أساسها برامج عمل تسترشد بها في مسارها الحضاري، ومن ذلك التأسيس لثقافة المقاومة.

٩. إن إرادة الحياة فطرة في الإنسان، وغريزة في سائر المخلوقات، ولكن الحياة البشرية لجهة الحفاظ على الحياة، واستمرار النوع بالتوالد، وهي مقاصد في الإنسان لا قيمة لها ما لم تقترن بالكرامة والعزّة.

يقود هذا إلى القول: إن الإنسان يجب أن يتربّى على رفض الحياة مع الذُّلّ، وأن تقوى فيه نزعة حبّ الآخرة والموت وكراهية الدنيا بما فيها من مطالب وعلائق مادية الطابع. إن الواجب على المربين أن يعزّزوا في الناشئة حب الشهادة، وفلسفة الموت دفاعاً عن الدين والوطن والحقوق لأن ذلك يزرع الوهن في صفوف العدو، ويلقي الرعب في قلوب جنوده وقياداته وبذلك يتحقّق النصر.

١. نشر الأدب الملتزم، وبشكل خاص الشعر الذي يحمل من خلال صاحبه مشاعر أبناء الأمة وانفعالهم تجاه التحديات، ويعبّر عن روح الصمود فيهم، وعن تطلعاتهم نحو المستقبل.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر، فإنه ديوان العرب».[١٣]

وعندما يراجع المطالع نماذج من الشعر الملتزم فإنه يجد الموقف والتعبئة والحَدْس الصادق بالنصر ولو أخذنا نماذج من شاعر معاصر هو الشاعر اللبناني طارق ناصر الدين[١٤] الذي حمل معاناة الأمة وقضاياها فكان لسان الأمة بكل ما لذلك من دلالة.

القدس هي القلب من القضية المركزية فلسطين، وهي المدنسة والمهانة والمحتلة، قال فيها شاعر المقاومة طارق ناصر الدين:

القدس في بالنا مرمى النجوم، ألمْ يسْرِ الرسول لها والليل متّئد
وجاء حاخام إبليس يجرّدها من ثوبها وهي عذرائي التي تلد
خاف السلاطين من بطش اليهود، ويا عار السلاطين لا لبّوا ولا حشدوا
حتّى أطلت يدٌ في متنها حجر يا قدس لا تجزعي، أطفالك المدد[١٥]

لأن الشاعر المقاوم أدرك أهمية وحدة المسلمين في أساس ثقافة المقاومة فقد قال في قصيدة له:

ما أورثونا فرقة أو بدعة زور على الإسلام حشد مذاهب

من لم تعد تكفيه نسبة مسلم واختار أن يبقى أسير الناسب
لا أنت مرشده ولا إسلامه حق ولو أدّى الفروض كراهب
الدين ليس مذاهباً مهزومة الدين بذل النفس يوم الواجب[١٦]

ويخاطب الشاعر قوافل الفدائيين من الذين يتقدمون على درب الشهادة غير آبهين بالثمن، فكان ديوانه الثالث تحت عنوان: "تابعوا موتنا"، ومنه قصيدة حملت العنوان، ومما قاله:

«تابعوا موتنا
كل يوم ستشرق الشمس فوق القبور،
وتنمو العصافير والعشب والغناء
تابعوا موتكم
نحن من أمة عظيمة يبدأ في قبورها الانتماء».[١٧]

وأبدع شاعر المقاومة مجموعة قصائد وجهها إلى الرئيس الأمريكي جورج بوش منها هذا المقطع:

يا مستر بوش الجونيور
يا أتفه طاغية عرفته الأرض المقلوبة
صهيونيتك تفحّ فحيحاً دورك دور الألعوبة
شارون أمر فنفّذ خطته المرغوبة
قتل الأطفال، وحرق الأشجار،
وتهجير القدس المصلوبة...
لكن أبابيل الثأر ستأتي تحت جوانحها السجيل
لماذا روحك مرعوبة؟
إرهابيون نعم... إرهاب الشيطان
رسالتنا المكتوبة
تملك أسلحة الشرّ الأقصى؟
نملك أسلحة الحقّ المطلوبة
تملك أموالاً؟
نملك أبطالاً

ترسل أشباحاً؟
نرسل أرواحاً
ولديك سلاح نوويّ
ولدينا إسلام وعروبة [١٨]

هذه مقاطع من رسالة شاعر مقاوم تضجّ بمعانٍ تعبوية، وتستجيب للتحدي، وتدعو لردّ العدوان الصهيوأمريكي الذي يقوده طاغية العصر الرئيس الأمريكي جورج بوش، ومثل هذا الأدب الملتزم هو ما تحتاجه المناهج التعليمية والمقررات الدراسية، وهو ما على وسائل الإعلام أن تتبنى تداوله، كما أن المنبريين يحتاجونه مادة للخطاب. والشاعر طارق ناصر الدين واحد من الأدباء المقاومين الذين نحتاج إبداعاتهم في إطار صياغة استراتيجية ثقافة المقاومة فكراً وفعلاً.

الهوامش

١. ابن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، دمشق، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ.١٩٧٩م، ص ٤٩.

٢. السحمراني، أسعد، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، بيروت، دار النفائس، ط١، سنة ١٤٢٣هـ.٢٠٠٢م، ص٨٢ و٨٣.

٣. أبوحاقة، أحمد، معجم النفائس الوسيط، بيروت، دار النفائس، سنة ٢٠٠٧، ص١٠٤٤.

٤. المصدر نفسه.

5 .Dictionnaire Hachette encyclopédique, Paris, l'année 1996, P. 1617.

٦. موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب، مكة المكرمة، منشورات رابطة العالم الإسلامي، (د.ت)، ص١٢ و١٣.

٧. أخرجه الترمذي في السنن، أبواب الديّات، وأخرجه ابن ماجه، والنسائي وسواهم.

٨. أخرجه الإمام في مسنده، وأبو داود والنسائي في السنن.

٩. الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، ضبط نصه وابتكر فهارسه الدكتور صبحي الصالح، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط١، سنة ١٩٨٠، ص ٦٩.

١٠. الأمم المتحدة، ميثاق الامم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، نيويورك، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة، ص٣٣و٣٤.

١١. ابن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ص١٠٥.

١٢. ابن بدر الدين، الأمير الحسين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة: ص٣٦٣. صنعاء. اليمن: مكتبة البدر، ط٢، ١٤٢٢هـ.

١٣. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد: ج١٧، ص٢٠٦. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٤. طارق ناصر الدين: مولود في قرية كفر متّى من جبل لبنان عام ١٩٤٣ من عائلة برز فيها الجد الشاعر أمين ناصر الدين والأب نديم ناصر الدين اللغوي والإعلامي. طارق ناصر الدين شاعر مؤمن قلمه مسخّر للمقاومة والدفاع عن الأمة ثقافة وحضارة ومقدسات وحقوقاً. يشغل منصب المستشار الثقافي في قيادة المؤتمر الشعبي اللبناني ونائب الأمين العام لاتحاد الكتّاب اللبنانيين له مئات الأنشطة والندوات الشعرية والنصوص المنشورة في المطبوعات، وقد أصدر أربعة دواوين: ١. العائد من كلّ الأشياء. ٢. قصائد مؤمنة. ٣. تابعوا موتنا. ٤. قصائد ضاحكة (إخوانيات).

١٥. طارق ناصر الدين، العائد من كلّ الأشياء، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، سنة ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م، ص١١٨ و١١٩.

١٦. طارق ناصر الدين، قصائد مؤمنة، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٦، ص١١١.

١٧. طارق ناصر الدين، تابعوا موتنا، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠٥، ص ٦٥.

١٨. طارق ناصر الدين، تابعوا موتنا،م.س.، ص٣٩ و٤٠.

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم

٢. ابن بدر الدين، الأمير الحسين، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، صنعاء ـ اليمن: مكتبة البدر، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٣. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، مسند أحمد، بيروت: مؤسسة الرسالة، (د.ت).

٤. ابن ماجه، سنن ابن ماجة.

٥. ابن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، دمشق ـ سوريا: دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

٦. ابن نبي، مالك، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، بيروت: دار الفكر، (د.ت).

٧. أبو داود، سنن أبي داود.

٨. أبوحاقة، أحمد، معجم النفائس الوسيط، بيروت: دار النفائس، سنة ٢٠٠٧.

٩. الأمم المتحدة، ميثاق الامم المتحدة والنظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، نيويورك، إدارة شؤون الإعلام بالأمم المتحدة.

١٠. الترمذي، السنن الكبرى، أبواب الديّات.

١١. السحمراني، أسعد، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، بيروت: دار النفائس، ط١، سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.

١٢. الصالح، صبحي، شرح نهج البلاغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط١، سنة ١٩٨٠.

١٣. قاموس موسوعة هاشيت، باريس: سنة ١٩٩٦:

Dictionnaire Hachette encyclopédique, Paris: l'année 1996.

١٤. موقف رابطة العالم الإسلامي من الإرهاب، مكة المكرمة: منشورات رابطة العالم الإسلامي، (د.ت).

١٥. ناصر الدين، طارق، العائد من كلّ الأشياء، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط١، سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.

١٦. ناصر الدين، طارق، تابعوا موتنا، بيروت: ط١، سنة ٢٠٠٥م.

١٧. ناصر الدين، طارق، قصائد مؤمنة، بيروت: ط١، سنة ١٩٩٦م.

١٨. النسائي، سنن النسائي.